

تشجيع أبحاث شبابية

التحولات المجالية ورهان تحقيق التنمية:
جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم

إسماعيل الراجي

خريج ماستر سوسولوجيا المجال وقضايا التنمية الجهوية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-جامعة ابن طفيل-القنيطرة

21 دجنبر 2022



ملخص:

نتوخى من خلال هذه الدراسة تتبع سياقات التحولات المجالية التي شهدتها الجماعة الترابية لجرف الملحة، من خلال الإحاطة بالأبعاد الجغرافية والتاريخية والاجتماعية التي كانت وراء ارتقاء مدينة جرف الملحة، من مجرد دوار صغير إلى مركز قروي محدد، وصولاً إلى جماعة ترابية حضرية، بل مكوناً مجالياً محورياً في الشبكة الحضرية بإقليم سيدي قاسم. بفضل الدينامية المتسارعة التي تعرفها جرف الملحة؛ إن على المستوى الديمغرافي الموسوم بالسرعة، أو على المستوى الاقتصادي المطبوع بتحول القاعدة الاقتصادية وتداخلها، أو على المستوى المجالي المتسم بالاكنتساح السريع للمجال وتعايش أنماط تـمـدينية تجمع بين المنظم والعشوائي وبين مظاهر الحضرية والقروية.

الكلمات المفتاح: جرف الملحة-التحولات المجالية-السياقات التاريخية-الدينامية الترابية.

Summary:

Through this research, we hope to follow the contexts of territorial transformations seen in the Jorf El-Melha territorial community, noting the geographic, historical, and social factors that have contributed to the city of Jorf's rise from a small douar to a particular village center to an urban community, a key territorial element of the urban network in the Sidi Kacem region. You are aware of the accelerated dynamism in the demographic and economic spheres, which is characterized by speed and the transformation of the economic base, or on the spatial level, which is marked by a quick sweep of the terrain and the cohabitation of urban models that blend the planned and the haphazard with the manifestations of urban and rural areas.

Keywords: Jorf El-Melha - Spatial changes - Historical contexts - Territorial dynamics.



التحولات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم

المقدمة

عرف المغرب مجموعة من الظواهر المجالية التي وسمت حقبة القرن 20م، لعل أبرزها الانتقال الديمغرافي، المقرون بالانتقال من بلد ذو صبغة قروية إلى بلد حضري. اتصفت الظاهرتين بدينامية سريعة خلقت معها إشكالات سوسيو-مجالية وتعقيدات التنمية في الجماعات الترابية. وفي هذا السياق، لم يكن إقليم سيدي قاسم إلا صورة مصغرة من التحولات التي عرفها مجال المغرب عامة. فرغم قدم الاستيطان البشري بمجال دراستنا الذي ينتهي إلى حيز قبلي وجغرافي واسع عرف تاريخيا باسم "الغرب"، فقد ظل هذا المجال الترابي يعيش نوعا من الاستقرار المجالي، الذي سرعان ما ستتغير وتيرته مع دخول الاستعمار الفرنسي الذي وجد بالمنطقة مؤهلات فلاحية يمكن وصفها بالمغرية. فعلى مساحة المجال الترابي لإقليم سيدي قاسم، التي تقدر بحوالي (462892م²)⁽¹⁾، والتي تصنف في الترتيب على صعيد جهة رباط سلا القنيطرة، برتبة الثالثة من حيث حجم المساحة. في هذا الامتداد القروي التاريخي، تتواجد مجموعة من الجماعات الترابية، تتوزع حسب تصنيف الإداري إلى خمس جماعات حضرية، وأربعة وعشرون جماعة قروية (مع المراكز القروية الناشئة)، بمجموع عدد سكان بلغ حسب نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لعام 2014⁽²⁾ ما مجموعه 522070 نسمة. وتقدر نسبة السكان بالوسط الحضري: 32.262%، في حين تتجاوز نسبة السكان بالوسط القروي 67.74%. أما مجموع عدد الأسر بالإقليم، وصل إلى 99191 أسرة، تستقر ما نسبته 61.92% من الأسر بالوسط القروي. وتجدر الإشارة في هذا السياق، إلى أن الحيز المجالي للإقليم كان يتوفر على نواة حضرية واحدة فقط قبل الحقبة الاستعمارية، حيث تعتبر مدينة سيدي قاسم زاوية من بين النواة الحضرية الأولى⁽³⁾ في المنطقة التي تشكلت قبل الاستعمار الفرنسي للمنطقة.

(1) عمار حمداش، دفاثر طالب علم الاجتماع: تقنيات البحث السوسيوولوجي (رقم 1)، ط1 (القنيطرة، المطبعة السريعة، 2006)، ص 19.

(2) نفسه، ص 19.

(3) للمزيد حول هذا الموضوع أنظر: مبارك الشيكرك، "سيدي قاسم"، معلمة المغرب: المغرب الأقصى (قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية و الحضارية للمغرب الأقصى) (ج 15)، (المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 2004)، ص 5216.



التحولات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم

وحيثما حل المستوطنون في المجال الترابي للإقليم، أطلقوا على مدينة سيدي قاسم أي عاصمة الإقليم الحالية، اسم PETIT-JEAN .

في تسعينيات القرن الماضي، سيعرف المجال الترابي لإقليم سيدي قاسم مجموعة من التحولات الاجتماعية والتربية غير متجانسة بين شماله وجنوبه، وشرقه وغربه، التي انعكست على الانسان والمجال بالاقليم. وعلى ضوء ما سبق تبلور الإشكالية المؤطرة للورقة البحثية، والس نسوغها وفق الأسئلة التالية: فأين تجلت أبرز التحولات المجالية والترابية في إقليم سيدي قاسم؟ وما هي أبرز الاليات المحركة لها.

الغاية من الدراسة:

نتوخى من هذه الدراسة ابراز أهم العوامل التي كانت وراء عملية التحولات السوسيوترابية بجماعة جرف الملحة، التي أصبحت تشكل قطبا حضريا على صعيد إقليم سيدي قاسم، هذا من جهة ومن جهة أخرى الإشارة إلى قضية التنمية الأساسية بهذا المركز الحضري الصاعد.

إشكالية والفرضيات:

على ضوء ما سبق تبلور الإشكالية المؤطرة للورقة البحثية، والتي تقارب العلاقة بين سرعة الديناميات الترابية ووقوعها على التنمية المجالية، والتي يمكن تفكيكها إلى الأسئلة التالية: أين تجلت أبرز التحولات المجالية والترابية في إقليم سيدي قاسم؟ وما هي أبرز الاليات المحركة لها؟ وما هو واقع التنمية الترابية على مستوى جماعة جرف الملحة؟ للإجابة عن الإشكالية، قنا بصياغة فرضيات سنعمل على اثباتها أو تفنيدها وهي كالتالي:

- الفرضية الأولى: الدينامية المجالية التي عرفتتها جماعة جرف الملحة مرتبطة أساسا بالمؤهلات العقارية والتحويلات الوظيفية؛

- الفرضية الثانية: الدينامية السريعة التي عرفتتها جماعة جرف الملحة لم تواكبها طفرة على مستوى الاعداد والتنمية الترابية.

منهج المعتمد في الدراسة وأدواتها



التحولات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم

تم اعتماد مقارنة منهجية تجمع المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي في تحليل المعطيات السوسيوثقافية المتعلقة بالمجال الترابي المدروس. كما استعنا بالعمل البيبليوغرافي من خلال الاطلاع على المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع البحث، من الناحية النظرية والمفاهيمية، وخاصة منها في الحقل السوسولوجي، والتاريخي والجغرافي؛ الدراسات السابقة التي تتقاطع مع موضوع البحث؛ إحصاءات الرسمية (نتائج إحصاء المندوبية السامية للتخطيط 1994-2014-2004-اسقاطات الإحصائية الاستشرافية) مونوغرافيات جماعة جرف الملحة؛ وثائق الجماعات الترابية كبرنامج عمل الجماعة؛ العمل الميداني: المتجلي في المعاينة والملاحظ الميدانية والمقابلات علاوة على العمل الخرائطي.

مجال الدراسة

تنتمي جماعة جرف الملحة إلى إقليم سيدي قاسم، التابع جهويا إلى جهة الرباط سلا القنيطرة. تتكون جماعة جرف الملحة من ساكنة تقدر حسب نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنة 2014، بـ 28671 نسمة. تتواجد جماعة في موقع استراتيجي من ميزاته الخاصة: جرف الملحة جماعة حضرية وسط مجموعة من الجماعات الترابية ذات الخصائص القروية؛ مرور الطريق الوطني رقم 13 الرابط بين مدينة فاس ومدن الشمال؛ قرب جماعة جرف الملحة نسبيا من مجموعة من المدن الرئيسية على صعيد الوطني والجهوي، حيث تقدر المسافة التي تبعد بين مدن جهوية تدخل ضمن نطاق جهة الرباط سلا القنيطرة وجهة فاس مكناس؛ في حدود 100 كلم، كمدينة فاس ومكناس ومدينة القنيطرة... إلخ؛ جماعة جرف الملحة الحضرية قريبة من شبكة مواصلات السكك الحديدية بحوالي 30 كلم توجد بمدينة إقليم سيدي قاسم.

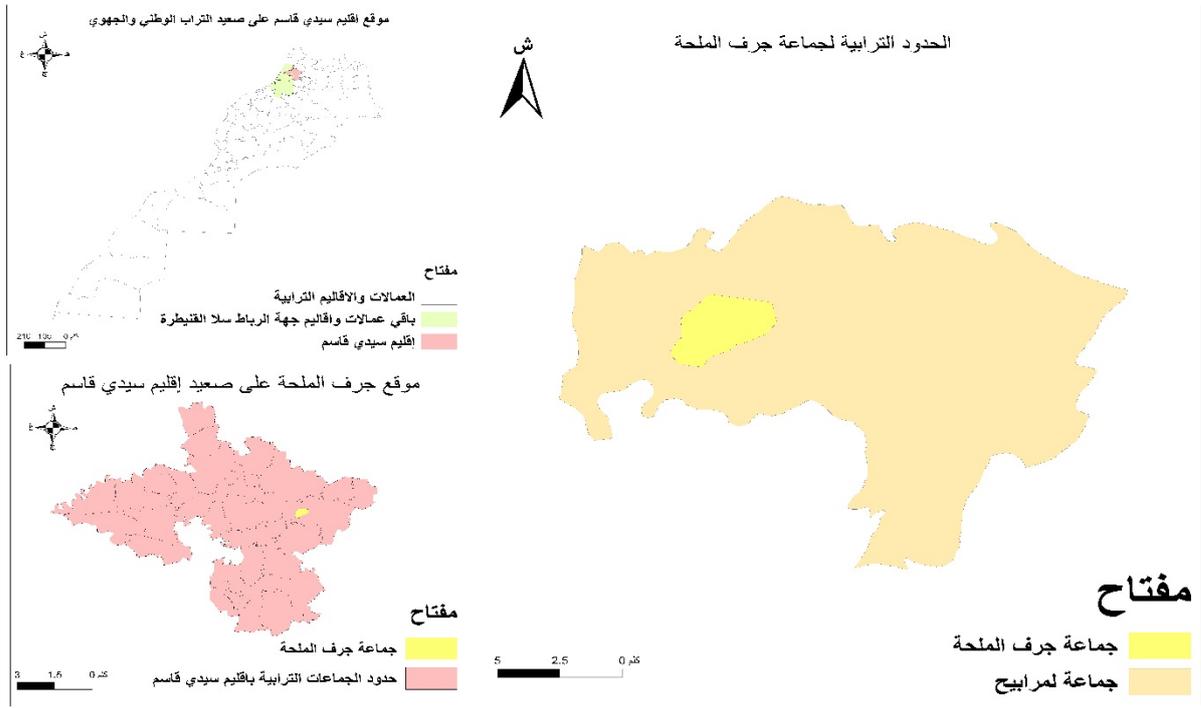
التحولات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم

أولاً: جماعة جرف الملحة حدودها الترابية وظروفها المناخية والتضاريسية ومعلمها المجالية

1- الحدود الترابية لجماعة جرف الملحة

توجد جماعة جرف الملحة⁽⁴⁾، في شرق إقليم سيدي قاسم، حيث كما هو يظهر من خلال الخريطة، تحيط بجماعة جرف الملحة من جميع الجهات الحدود الترابية لجماعة لمراييج.

الخريطة رقم 1، الحدود الترابية لجماعة جرف الملحة



توطين جماعة جرف الملحة على الصعيد الوطني والجهوي والإقليمي
المصدر: التقسيم الترابي 2015

اعداد الباحث، المصدر التقسيم الترابي 2015

يتسم المحيط الترابي الذي تتموقع فيه جماعة جرف الملحة بطابع القروي، حيث يطغى على هذا الامتداد، الناشط الاقتصادي الفلاحي المرتبط بزراعة الحبوب والتشجير، وتربية الماشية.

(4) سميت جرف الملحة بهذا الاسم حسب مصدر الرواية الشفوية المتداولة، نسبة إلى أحد الأماكن، المتواجدة على هامش المدينة حالياً، هذا المكان ذو طبيعة جغرافية "جرف"، تتميز تربته بالملوحة، ومنه كان يتم استخراج الملح في القديم من طرف الساكنة من أجل الاستخدام المنزلي، وكذا البيع؟! عموماً هناك عموض حول تسمية جرف الملحة.



2- الإطار الطبيعي للمجال الترابي لجماعة جرف الملحة

يعد الإطار الطبيعي بخصائصه الجغرافية والمناخية والبيئية من عوامل المؤثرة في سيرورة المجال الاجتماعي، سواء من الناحية التوسع العمراني أو الاقتصادي، وعليه، فإن الإشارة للإطار الطبيعي له أهميته في تناول دينامية الاجتماعية والعمرانية بمنطقة جرف الملحة. إذ من شأنها أن تكون عاملا من عوامل الجذب أو طرد، على المستوى الاجتماعي والاقتصادي.

أ- درجة الحرارة والتساقطات والتضاريس والموارد المائية

يطغى على مجال جرف الملحة⁽⁵⁾ والجماعات الترابية المتاخمة لها، المناخ المتوسطي. يتباين فيه متوسط درجة الحرارة بين الفترة الممتدة من شهر أكتوبر إلى شهر أبريل، والفترة الثانية الممتدة من شهر ماي إلى شهر شتنبر؛ تتميز الفترة الأولى بدرجة الحرارة منخفضة؛ لكونها فترة فصل الخريف، والشتاء، والربيع. بينما تتميز درجة الحرارة في الفترة الثانية، بارتفاع درجة الحرارة، لكونها فترة تدخل في نطاق فصل الصيف، ويتراوح معدل درجة الحرارة بين 8 درجات في الحد الأدنى، وفي الحد الأقصى 41 درجة، مع معدل متوسطي في حدود 18 درجة. أما في يخص التساقطات المطرية، فتعرف المنطقة تساقطات مطرية بمعدل سنوي يقدر بـ 480 ملم. ويطغى على المجال الترابي في جرف الملحة، ثلاثة أنواع من التضاريس⁽⁶⁾، السهول، والهضاب، والتلال، ويتراوح ارتفاع المنطقة بحوالي 330 مترا، و 23 مترا عن سطح البحر. ومن الملاحظات التي ينبغي الإشارة لها، تتعلق بواد ورغة؛ إذ يبعد عن مركز مدينة جرف الملحة بحوالي 4 كلم، والذي يمر من ناحية الجنوب.

(5) المعطيات المتعلقة بدرجة الحرارة والتساقطات، مأخوذة من المصادرة التالية: برنامج عمل جماعة توغليت (PAC) 2015-2021،

Plan d'actions communal-JORF EL MELHA 2016-20121

(6) المعطيات المتعلقة بدرجة الحرارة والتساقطات، مأخوذة من المصادرة التالية:

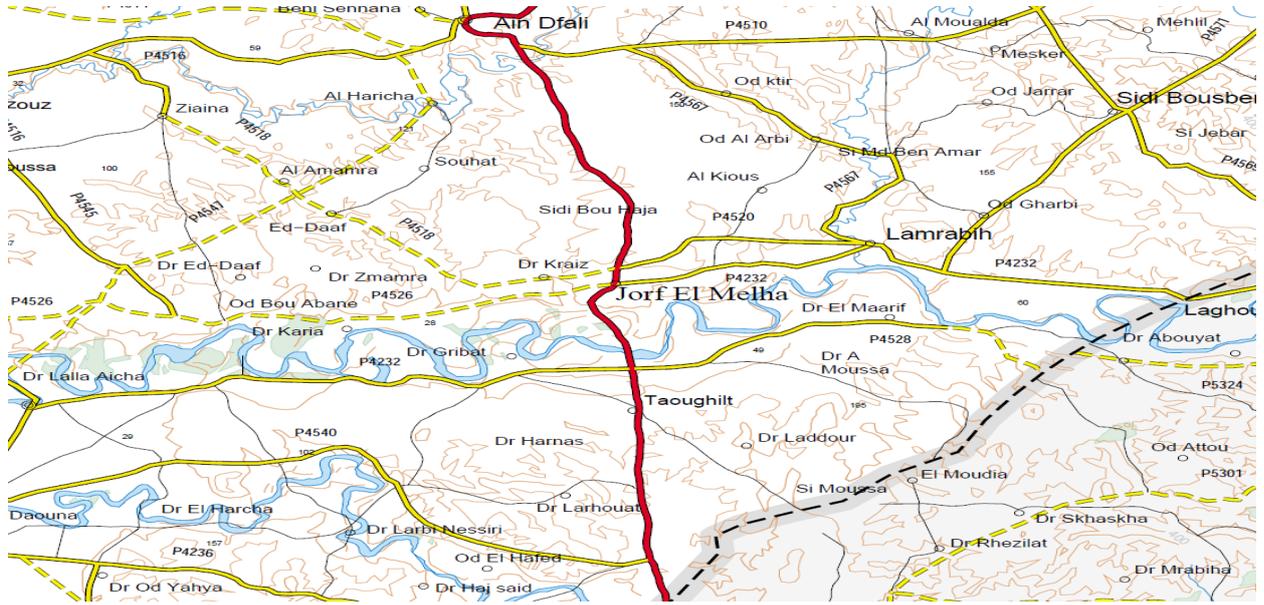
برنامج عمل جماعة توغليت (PAC) 2015-2021،

Plan d'actions communal-JORF EL MELHA 2016-20121

التحويلات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم



قصاصه رقم 1: منطقة الطوبوغرافية لجماعة جرف الملحة

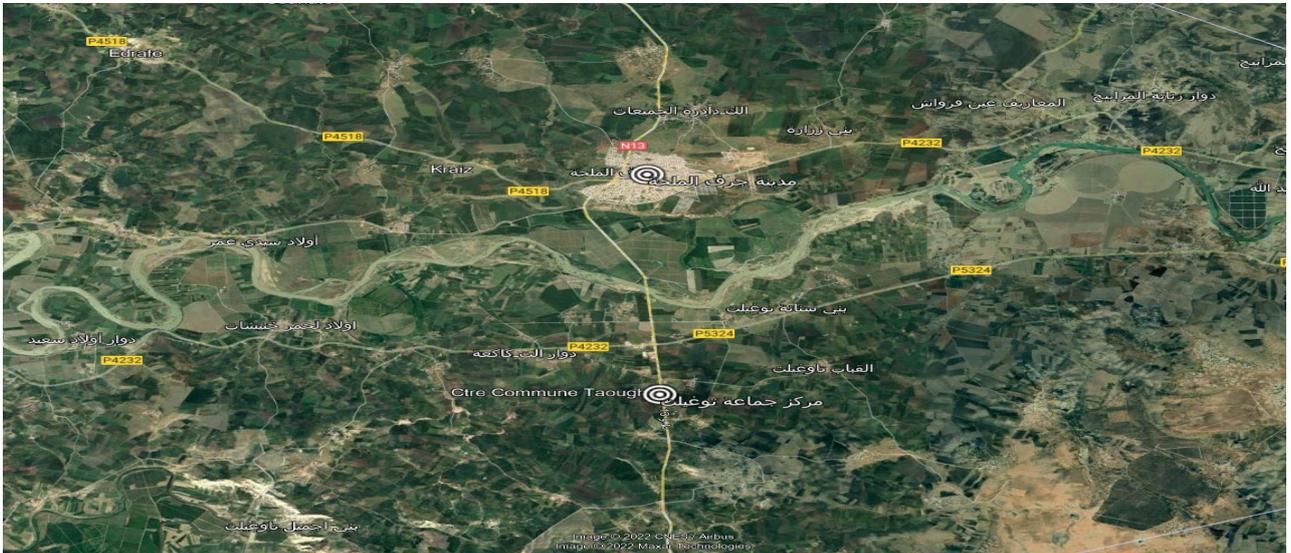


المصدر: الخرائط الطوبوغرافية للوكالة الوطنية للمحافظة العقارية والمسح العقاري والخرائطي مديرية الخرائط (ANCFCC)

3- الشبكة الطرقية بجماعة جرف الملحة

تعد الطريق الوطنية رقم 13، أهم طريق يخترق مجال جماعة جرف الملحة، هذا الخط الرابط بين مدينة فاس والمجال الترابي للمدن والقرى لمنطقة شمال المغرب. فعلى مستواه تكون حركة عبور قوية.

قصاصه رقم 2: الطرق المصنفة وغير المصنفة (الوطني رقم 13، طريق الجهوي (P4232)، (P4518))





المصدر: غوغل ارث، (image2022 CNES/Airbus,image 2022Maxar Technologies)

بالإضافة إلى الطريق الوطني رقم 13، تربط مجموعة من الطرق، الطرق المصنفة جهويا وغير مصنفة مدينة جرف الملحة بمحيطها الترابي المجاور، والمحيط المجاور له. وتشكل شبكة الطرق هذه؛ من مكامن القوة في المجال الترابي لجماعة جرف الملحة.

ثانيا: الخصائص الديمغرافية والسوسيو-اقتصادية لجماعة جرف الملحة

تعد المعطيات الديمغرافية والسوسيواقتصادية من المؤشرات الدالة على الوضعية المجالية والاجتماعية وكذا من المؤشرات التي يمكن من خلالها قراءة واقع التنمية الترابية بجماعة ترابية ما، وعلى ضوء أهمية هذه المعطيات الترابية، سنقدم الخصائص الترابية المتعلقة بجماعة جرف الملحة من خلال استعراض؛ مؤشرات الديمغرافي المتعلقة بتطور عدد السكان، والاسر، والجنس، الفئات العمرية، والكثافة السكانية هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى عرض مؤشرات النشاط والشغل، الفقر، وفيه سنعرض مؤشرات الفقر، والهشاشة، ومصادر الفقر المتعدد الأبعاد.

1- عدد السكان

بلغ عدد سكان جماعة جرف الملحة، حسب الاحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014، 28671 نسمة، بعدد أسر 5888 أسرة. في حين سجلت جماعة جرف الملحة كثافة سكانية عالية 3409.

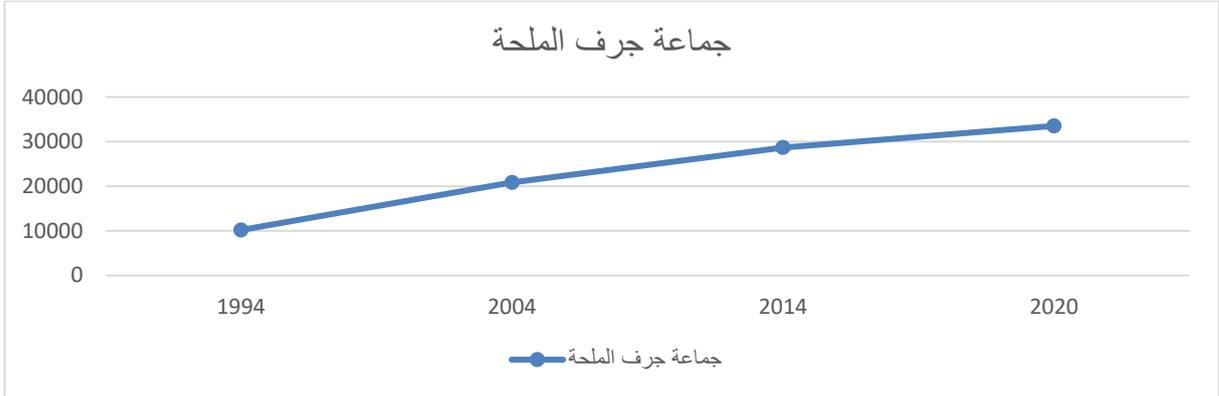
جدول رقم 1: تطور عدد سكان جماعة جرف الملحة 1994-2020

سنة الاحصاء	عدد السكان	عدد الاسر	الكثافة السكانية
1994	10187	1637	970
2004	20851	2010	1986
2014	28671	5888	3409
2020	33514	--



اعداد الباحث، المصدر: RGPH2014

مبيان رقم 1: تطور عدد سكان جماعة جرف الملحة 1994-2020



اعداد الباحث، المصدر: RGPH-2014

من خلال مبيان تطور عدد ساكنة جماعة جرف الملحة، يتبين لنا، أن هناك ارتفاع مهم لعدد السكان خلال 10 سنوات قدر ب 7820 نسمة. ومن الأهمية بما كان الإشارة إلى توزيع ساكنة جرف الملحة في الحدود الترابية المحددة للجماعة؛ إذ تتوزع الساكنة على 14 منطقة سكنية، مصنفة ضمن حدود الترابية للجماعة الحضرية، اللافت للنظر فيها حالة دوار كدادرة⁽⁷⁾، الذي يعد من الدواوير المتواجدة داخل المدار الحضري جرف الملحة.

2- خصائص الاقتصاد والفقير

أ- النشاط والشغل

تدور عجلة الاقتصاد بجماعة جرف الملحة، حول قطاعين مهمين، يشكلان العصب الاقتصادي للجماعة وهما: قطاع التجارة؛ وقطاع البناء والاشغال العمومية. وحسب احصائيات المندوبية السامية 2014، بلغ معدل الصافي للنشاط بجماعة جرف الملحة 43%، ويعرض الجدول رقم 2 مؤشرات النشاط الاقتصادي بجرف الملحة.

(7) المصدر: مونوغرافية جماعة الملحة 2020 . وتعد الرقعة الجغرافية التي عليها ساكنة دوار كدادرة اجميعات، والتي يقدر عدد ساكنتها 1915 نسمة، هذه الساكنة التي مجاليا تندرج ضمن المجال الحضري لمدينة جرف الملحة، ما يزال مشهدها المجالي، قروي بحث، فما تزال هذه الساكنة لا تتوفر على أهم الخدمات الأساسية كالطرق المعبدة والمسالك وخدمة النظافة، وخدمة الصرف الصحي...إلخ.



جدول رقم 2: مؤشرات النشاط والشغل بجرف الملحة 2014

مؤشرات	جماعة جرف الملحة
المعدل الصافي للنشاط	40.87
المعدل الصافي للنشاط عند الذكور	70.28
المعدل الصافي للنشاط عند الإناث	11.27
نسبة المشغلين	3.47
نسبة المشغلين الذكور	3.56
نسبة المشغلات الإناث	2.72

المصدر: (RGPH2014)

وبرجوع إلى توزيع الساكنة حسب نوع النشاط المزاوول، يتبين من خلال المعطيات المحينة في منوغرافية جماعة جرف الملحة. أن قطاع التجارة، ينشط فيه ما يقدر بـ65%، من الساكنة النشيطة، بينما يستوعب قطاع البناء والاشغال العمومية 30%. في حين يشغل قطاع الفلاحة حوالي 2%، و3% في أنشطة مختلفة.

ب- الفقر وأنواعه

يشكل الفقر، بجماعة وجرف الملحة، من أكبر الإشكالات في المجتمع هناك، تتعدد مظاهره السوسولوجية. وحسب مؤشرات المندوبية السامية للتخطيط.

جدول رقم 3: مؤشرات الفقر بجرف الملحة 2014

مؤشرات	النسب
معدل الفقر النقدي	3.08
المؤشر الحجي للفقر	0.40
مؤشر حدة الفقر	0.08



12.66	معدل الهشاشة
2.53	نسبة الفقر متعدد الأبعاد 2014 (ب%) - المجموع
0.91	حدة الفقر متعدد الأبعاد 2014 (ب%) - المجموع
35.89	مؤشر الفقر متعدد الأبعاد 2014 (ب%) - المجموع
71.26	مصادر الفقر متعدد الأبعاد 2014 (ب%) - التعليم - المجموع
19.37	مصادر الفقر متعدد الأبعاد 2014 (ب%) - الصحة - المجموع
5.39	مصادر الفقر متعدد الأبعاد 2014 (ب%) - الولوج للماء والكهرباء والصرف الصحي - المجموع
3.98	مصادر الفقر متعدد الأبعاد 2014 (ب%) - ظروف السكن - المجموع
2.88	توزيع الفقر حسب أشكاله 2014 (ب%) - الفقر النقدي فقط - المجموع
2.33	توزيع الفقر حسب أشكاله 2014 (ب%) - الفقر متعدد الأبعاد فقط - المجموع
0.19	توزيع الفقر حسب أشكاله 2014 (ب%)، النواة الصلبة للفقر: تراكم الفقر النقدي والفقر متعدد الأبعاد - المجموع
5.40	نسبة الفقر الشامل (بنوعيه) 2014 (ب%) - المجموع

المصدر: RGPH2014

3- ظروف السكن ونوعية المساكن

أ- ظرف السكن

حسب إحصاءات المندوبية السامية-2014، بلغ عدد الأسر الساكنة بالمجال الترابي لجماعة جرف الملحة 5888 أسرة، في حين لم تتجاوز 2010 أسرة خلال إحصاء 2004. ومن خلال لغة الأرقام، يتبين لنا أن عدد الاسر تضاعف تقريبا ثلاث مرات خلال عشر سنوات. وحسب المعطيات المندوبية السامية تتجاوز نسبة الاسر التي

التحولات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم



تحوز السكن عن طريق الكراء 24%، مقابل 63.52 % بالنسبة للملك، ويقدم الجدول الآتي بعض المؤشرات المرتبطة ببعض الخدمات:

جدول رقم 4: مؤشرات ظروف السكن بجرف الملحة (%)

مؤشرات	جماعة جرف الملحة
نسبة الأسر المرتبطة بشبكة الماء الصالح للشرب	96.93
نسبة الأسر المرتبطة بشبكة الكهرباء	97.91
نسبة الأسر المرتبطة بشبكة عمومية لتصريف المياه المستعملة	93.12
نسبة الأسر التي تستعمل حفرة صحية لتصريف المياه المستعملة	5.93
المسافة المتوسطة عن أقرب طريق معبدة بالوسط القروي	0.00

اعداد الباحث، المصدر RGPH2014

ب- مجالات السكن ونوعيتها

حسب المعطيات الإحصائية حول نوعية السكن بجماعة جرف الملحة، يسجل في مجالها الترابي النتائج التالية الموثقة في الجدول:

جدول رقم 5: نوع السكن بجرف الملحة %

سكن بدائي	سكن	دار مغربية	شقق	فيلات	آخر
0.07	4.43	88.82	3.70	2.31	0.00

اعداد الباحث، المصدر: RGPH2014

التحولات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم



تبعاً للدينامية التعميرية التي تعرفها جماعة جرف الملحة، بلغ المجال المركزي درجة الاشباع ليتم فتح جيوب جديدة للسكن على حساب الأراضي الفلاحية المجاورة، وكذا من خلال تشجيع البناء العمودي، حيث نسجل تزايد حضور البنيات من قبيل البنيات التي لا يتجاوز علوها ثلاثة طبقات (R+3). ويبدو من خلال بعض التصورات التي يتحدث عنها الفاعلون، أنه من المتوقع في استراتيجية التخطيط في المشهد العمراني المقبل أن الجماعة قد تضع بعض التجزئات في خانة التجزئات التي سيتم فيها بناء عمارات تتجاوز علو ثلاثة طبقات.

قصاصه رقم 3: صورة المشهد العمراني بالوسط الحضري بجرف الملحة



اعداد الباحث، المصدر: Google Eart، تاريخ التقاط الصورة 2020

ثالثاً: السيرورة التاريخية للتحويل المجالي لجماعة جرف الملحة

1- الأصل القبلي لسكان جرف الملحة

يبدو أن تحديد الأصل القبلي لسكان المجال الترابي لجرف الملحة والدواوير والسكان المتناثرة في المنطقة، لا يتأتى ذلك إلا بالرجوع إلى الدراسات التاريخية، والاثنوغرافية التي تناولت "مجال الغرب"، هذا المجال التاريخي في التراب الوطني، الذي عرف مجموعة من التحولات والحركات السكانية عبر تاريخه. ومن الجدير بالإشارة، هناك معطيات



التحولات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم

تعود إلى بداية العقد الثاني من القرن 20، ومنتصفه، اشتغل حولها اثنوغرافيون وجغرافيون فرنسيين؛ تتضمن معطيات إحصائية ومجالية وثقافية تتعلق بالمنطقة التي تدخل ضمن مجال الغرب. فمن المراجع التي تعود إلى الحقبة الكولونيالية، وتتضمن مجموعة من المعطيات والمعلومات عن المجال الترابي لسكان جماعة جرف الملحة، والجماعات الترابية المتواجدة هناك في المنطقة، على ضفاف نهر ورغة وواد سبو وفي تلال المنطقة، نجد دراسة كل من ميشوبلير⁽⁸⁾، وجون لوكوز⁽⁹⁾: فحسب تحديدات والأبحاث الحقبة الكولونيالية، تعود كل من ساكنة المنطقة إلى قبيلة سفيان ومالك. إن بعض الدراسات التاريخية التي تناولت "الاستقرار البشري في منطقة الغرب من أواخر 12م إلى أواخر القرن 19م"⁽¹⁰⁾. يذهب المؤرخون⁽¹¹⁾ في مكون القبلي لمنطقة الغرب، أنها تتكون من قبائل بربرية، وعربية، ويعد المكون العربي في مجال الترابي بجرف الملحة هو المكون الأكثر انتشارا في المجال. ترجع جذور القبائل العربية المنتشرة في مجال الغرب، إلى قبائل ثلاثة هاجرت من الشرق إلى المغرب زمن الهجرة من شبه الجزيرة العربية إلى المغرب. ويؤكد صاحب "وصف افريقيا" أن العرب الذين دخلوا افريقيا هم ثلاثة قبائل وهم: قبيلة حكيم، وقبيلة هلال، وقبيلة معقل⁽¹²⁾. هذا بوجه عام. وتفرعت مع مرور الزمن هذه القبائل إلى بطون من "القبائل

(8) في متن هذا البحث الذي قام به ميشوبلير، نجد مجموعة من المعطيات الأساسية المتعلقة ببعض الدواوير في المنطقة، من قبيل عدد سكان الدوار، وممتلكاته من الدواب، وكبير اجماعة ذلك الدوار، والزواوية...الخ:

- Michaux Bellaire, Le Gharb, 25 pl., p. 1-480, Archives marocaines, t. XX (1913): publication de la Mission scientifique du Maroc.

(9) في متن هذه الرسالة التي قام بها أحد الجغرافة الفرنسيين، تم الإشارة فيها لمجموعة من المعطيات القبلية والطبيعية والسكانية المتعلقة بمنطقة الغرب.

- J. Lecoz, Le Rahba, fellah et colons, étude de géographie régionale, thèse d Etat, 2 tomes, Rabat 1964.

(10) المصطفى البوعناني: "الاستقرار البشري في منطقة الغرب بين التوجهات الرسمية و المعطيات الظرفية و الطبيعية من أواخر القرن 12م إلى أواخر القرن 13م/19م". مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي. عدد 5-6 / 2007-2008، من ص 81 إلى ص 120.

(11) للمزيد في هذا الموضوع أنظر: "منطقة الغرب: الإنسان و المجال"، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 3. و"منطقة الغرب: التاريخ والمجتمع"، مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي. عدد 5-6 / 2007-2008.

(12) الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2(بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983)، ص 48.



التحويلات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم

الأعرابية: الهلالية، والمعقلية وغيرها من البطون الصغيرة التي يشير إليها المصطفى البوعناني، دخلت إلى المنطقة في فترات زمنية متفاوتة من القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي إلى حدود القرن 13 هجري والتاسع عشر ميلادي⁽¹³⁾. وحسب الحسن الوزان، تنقسم قبيلة هلال⁽¹⁴⁾ إلى أربعة فروع: بني عامر؛ ورياح؛ وسفيان؛ وهوازن. وتعد كل من فروع قبيلة هلال؛ رياح وخلط وسفيان وبنو مالك وطلق؛ وحسب دراسة المصطفى البوعناني من التجمعات القبلية الكبرى التي استقرت في منطقة الغرب⁽¹⁵⁾. وحسب المعطى الكرونولوجي، ففي عهد المولى سليمان (1792-1824)؛ أصبحت منطقة الغرب ككل، هي قبائل بنو مالك، وسفيان بما في ذلك العرائش، وهي في عمالة واحدة، تول هذه العمالة الفقيه حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي (توفي 1817)⁽¹⁶⁾.

القول، إن الشاهد من سرد هذه الملحة التاريخية عن مجال الغرب، والأصل القبلي للسكانة وهو تفنيد المعطى "المونوغرافي" حول أصل ساكنة جرف الملحة ونواحيها؛ التي تؤكد على أن النواة السكانية الأولى لسكانة المناطق في كل من جماعة لمراييح وتوغيلت هي امتداد للمجموعات البشرية_الهلالية، والمعقلية وغيرها من البطون الصغيرة_ التي استوطنت المجال الغرباوي. ومنه ترجع جذور ساكنة تخوم سوق الاثنين/ بجرف الملحة إلى قبيلة مالك وسفيان⁽¹⁷⁾

2- سوق الاثنين وجرف الملحة

يشكل سوق الاثنين المنظم في كل يوم اثنين بالمجال الترابي لجماعة جرف الملحة، من أقدم الأسواق في المنطقة، ويعد هذا السوق هو المعلمة الرئيسية في مجال المنطقة من حيث السياق التاريخي المجالي. وهذا السوق من

(13) المصطفى البوعناني، "الغرب"، معلمة المغرب (ج 19)، المرجع السابق، ص 6318.

(14) الحسن الوزان، المرجع السابق، ص 49.

(15) للمزيد أنظر: المصطفى البوعناني، "الاستقرار البشري في منطقة الغرب بين التوجهات الرسمية و المعطيات الظرفية والطبيعية من أواخر القرن 6هـ/12م إلى أواخر القرن 13هـ/19م"، المرجع السابق.

(16) مصطفى البوعناني، "الغرب"، معلمة المغرب ج 19. ص 6317.

(17) أحمد الغزوي، اعداد المجال والتنمية الترابية بالوسط القروي: حالة جماعتي المراييح وتوغيلت بإقليم سيدي قاسم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة ابن طفيل-القنيطرة 2015، ص 116.



التحولات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم

العوامل المباشرة في عملية اشعاع لمدينة جرف الملحة. ولن يتأتى معرفة مساهمة سوق اثنين الا من خلال تقديم عرض وجيز عن أهمية السوق ودوره في المجال الترابي.

من خصائص ثقافة الإنسان الغرباوي_الفلاح_اهتمامه بسوق الأسبوعي⁽¹⁸⁾، حيث يحتل هذا الاخير مكانة مهمة في زمنه الاجتماعي والاقتصادي، هذا في بعد الاجتماعي، أما من حيث البعد المجالي فالسوق هو رمز من رموز المشهد الثقافي العام⁽¹⁹⁾ بمنطقة الغرب، وكيف لا والسوق صدى الثقافة المحلية في شكلها المصغر؛ إذ تبدو واضحة المعالم في مشهد حي في كل سوق بالمنطقة. وحسب بعض المصادر التاريخية التي تناولت مونوغرافية وجغرافية منطقة الغرب(ميشوبلير، وجون لوكوز) تعد كل من الأسواق التالية من اشهر الأسواق في منطقة هناك⁽²⁰⁾؛ من بينها: سوق الاثنين بمرشع بلقصابري؛ وسوق السبت بسوق الجمعة الحوافات؛ وسوق الخميس بدار الكداري؛ وسوق الخميس بيوم الخميس بسيدي قاسم، وسوق اثنين بيوم الاثنين بجرف الملحة؛ وجمعة الخنيشات...إلخ. فبعد هذه الاطلالة على بعض الأسواق التاريخية في منطقة الغرب التي وجدت قبل الحقبة الاستعمارية وخلالها واستمرت لليوم، ننتقل الان إلى الحديث عن سوق اثنين بجرف الملحة، وسوق اجمعة بالخنيشات الذي تحول ليوم السبت لاعتبارات دينية⁽²¹⁾.

يعقد السوق الأسبوعي بجرف الملحة كل يوم اثنين، من الأسواق الأسبوعية التاريخية في المنطقة، كسوق السبت بالخنيشات. ولقد شكل تنظيم سوق اثنين، معلمة تنظيمية بارزة في مجال الترابي لجرف الملحة قبل أن تتشكل الجماعة، وما يزال أحد السمات التي يشتهر بها هذا المجال، بل إن مدينة جرف الملحة تعرف بهذا السوق. الذي كان من العوامل المساهمة في تشكل المجال الاجتماعي، وتحوله إلى مدينة. إذ لعب السوق دورا بارزا في عملية الجذب الترابي، خلال سيرورة تشكل مدينة جرف الملحة.

(18) بوسلهام الكط، من وحي التراث الغرباوي(ج3و4)، ط1(القنيطرة، المطبعة السريعة، 2007)، ص 27.

(19) بوسلهام الكط، من وحي التراث الغرباوي، المرجع السابق، ص 27.

(20) لالقاء نظرة على خريطة أماكن الأسواق وأيام تنظيمها أنظر: بوسلهام الكط، من وحي التراث الغرباوي، المرجع السابق، ص 31-32.

(21) بوسلهام الكط، من وحي التراث الغرباوي، المرجع السابق، ص 27.



التحولات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم

لقد كان سوق اثنين في حقبة "بكري"⁽²²⁾، لا يقتصر دوره فقط على التجارة، وإن كان هذا هو الأساس بل كان له دورا أساسيا في إعطاء صورة عن نمط الثقافة المحلية هناك، نظرا لما يقدمه من فرجة وفولكلور توازي التجارة. وكان أيضا محطة أسبوعية للمفاصلة في القضايا والنزاعات بين المختصين، حسب الرواية الشفوية. من المعلوم أن السوق كان يتوافد له السكان من جميع نواحي المنطقة المتاخمة لجرف الملحة، حيث كان السوق يغطي احتياجات الساكنة التي تمتد تقريبا إلى 15 كلم تقريبا، أي كان يتوافد عليه ساكنة الدواوير التي منها من تبعد عن السوق بأكثر من 20 كلم، من أجل التبضع أو البيع..أو التطيب التقليدي...إلخ. ومن المعلوم اليوم يعد سوق الاثنين من أكبر الأسواق على صعيد الإقليم التي يكون فيها عرض الماشية(الابقار، الأغنام، الماعز) مقارنة بالأسواق المحلية الأخرى متباين جدا حسب ما يقول أحد تجار الماشية. وعلى ضوء قوة السوق يعد كراءه من المداخل السنوية للجماعة الذي يعود على خزانة الجماعة المالية بمبلغ سنوي مهم؛ حيث بلغة كراؤه سنة 2021 بحوالي 450 مليون سنتيم.

والجدير بالذكر، أن سوق اثنين تحول مكان اقامته وتنظيمه، ثلاثة مرات عبر تاريخه، نظرا لعامل الدينامية المجالية، وتوسع حركة التعمير بالجماعة والتي كانت بدايتها في حقبة أحمد الحجوي(قائد قيادة الحديثة بجرف الملحة)، والحاج علال ولد عبد المولى(رئيس الجماعة المحلية-القروية)؛ اللذان بصما حقبة تديرهما، باللمسات الأولى في وضع لبيانات مدينة جرف الملحة⁽²³⁾.

3- الجماعة القروية والقيادة

خلال ستينيات القرن الماضي، كان المجال الترابي لجماعة توغيلت وجرف الملحة، يتبع إداريا لجماعة الخنيشات(مركز حضري)، دائرة حد كورت، إقليم سيدي قاسم، جهة الغرب شراردة ابني حسن. وفي سنة 1975،

(22) حقبة بكري، أو زمن بكري هي كلمة تستعمل بشكل كثيف في السياق الاجتماعي المحلي للإشارة إلى الماضي القريب من التاريخ المعاصر.

(23) للمزيد من الاضاءات حول شخصية كل من الحاج علال ولد عبد المولى وأحمد الحجوي، أنظر مقال: ادريس كرم، "جرف الملحة والقائد الحجوي والرئيس الحاج علال.. قصة سوق تحول إلى مدينة"، في موقع هوية بريس، على الرابط الآتي:

<http://howiyapress.com/%D8%AC%D8%B1%D9%81-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D8%AD%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%A6%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AC%D9%88%D8%A8%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3-%D8%A7%D9%84>



التحولات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم

تم احدث جماعة ترابية قروية في المنطقة تحمل اسم جماعة جرف الملحة التي ستكون ساهرة على المجال الترابي الذي يضم مدينة جرف الملحة، والمجال الترابي لجماعة لمراييح حاليا.

على أثر القرارات الترابية الجديدة خلال تسعينات القرن الماضي، سيعلن عن مشروع احدثات جماعات ترابية جديدة، كان من بينها احدثات جماعة توغيلت، والارتقاء إداريا بجماعة جرف الملحة إلى جماعة حضرية، ليتم الحاق الحيز الترابي القروي الذي كان تابعا لها، بجماعة لمراييح التي تم احدثها في نفس السنة من 1992. وبهذا المستجد الترابي بمنطقة، سيتم تكوين أول لبنة حضرية -جرف الملحة، في المنطقة.

أ- جرف الملحة خلال مرحلة القروية

في اطار هذه المرحلة، التي يمكن حصرها قبل سبعينيات القرن الماضي⁽²⁴⁾، لم يكن المجال الترابي لجماعة جرف الملحة، قائما بذاته، بل كان عبارة عن مجالا قروي تابع للجماعة الترابية الخنيشات من الناحية الادارية. ومن الناحية الاقتصادية والاجتماعي لم يكن المجال الذي شيدت عليه مدينة جرف الملحة سوى مجال ترابية زراعي، تتناثر فيه الضيعات الفلاحية من كل الجوانب، خاصة الضيعات المنظمة وذات الحجم الكبير، التي كانت في حوزة المعمرين الفرنسيين، وبعض اقطاعي المنطقة خلال حقبة الاستعمارية، وكانت ساكنة المنطقة متناثرة في تخومه، في دواوير تابعة اليوم لجماعة لمراييح وغيرها.

فحسب بعض الروايات الشفوية، تعد أول ساكنة استقرت بالمجال الترابي لمدينة جرف الملحة كانت عبارة عن يد عاملة فلاحية تشتغل بضبعة المرنيسي، الذي قدم لهم قطع أرضية صغيرة شيّدوا عليها منازل لهم، ليشكلوا دوار أو عزيبا حسب الوصف المحلي المتداول.

خلاصة القول، إن أول نواة سكانية بالمجال الترابي التي شيدت عليه مدينة جرف الملحة، كان بضبعة المرنيسي. وفيما يتعلق بدوار الاثنين فقد تكونت وحدته الترابية قرب مركز الجماعة والقيادة لجرف الملحة. بخصوص تعدد الساكنة خلال هذه المرحلة، حسب بعض الروايات الشفوية، كانت تتراوح في أعلى تقدير حسب البعض 30

(24) في هذه الحقبة، سنسترشد بالرواية الشفوية التي استقصيناها من خلال مجالستنا لبعض الافراد الذين لهم معلومات عن تاريخ جرف الملحة.



التحولات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم

مسكنا، أو "كانونا" حسب تعبير المحلي. هذه الكوانين/ أي وحدة عائلية/أسرة، يمكن افتراض أن كل أسرة تتكون من زوج وزوجة وخمسة أبناء، وعلى ضوء هذا الافتراض إن صح فعدد الساكنة لا يتجاوز 210 نسمة. هذا من ناحية عدد الكوانين وأفرادها. أما من الناحية المجالية، فمجال جرف الملحة، كان معروف خلال هذه المرحلة (قبل سبعينيات) بثلاثة معالم؛ فهناك معلمة "سوق الاثنيين" الذي تحدثنا عنه، والآن نتحدث معلمة "دور المقدار" ومعلمة "كانتينا" ومعلمة الفيرومات.

خلال هذه الفترة، تميزت جماعة جرف الملحة، بعدد محدود من المنازل المتناثرة بالقرب من منطقة تسمى حاليا المرنيسي، كان جلها مشيدا بالتراب (بالمقدار حسب تسمية المحلية) ومن المعلوم أن بناء المساكن في منطقة الغرب كان جله مبني بالمقدار، هذا النوع من المواد في بناء المساكن يعد نموذجا خاص ببناء المساكن التقليدية بمنطقة الغرب⁽²⁵⁾.

جدير بالإشارة، أن من بين البنايات المشيدة في تراب جرف الملحة خلال هذه المرحلة، بناية يطلق عليها "كانتينا" (= كانتينا اخوان)، وهي خمارة شيدها المستوطنون الفرنسيون هناك، خلال تواجدهم بالمنطقة، وهي شاهد على الاستيطان الزراعي-الفرنسي، الذي كان حاضرا بقوة، نظرا للخصوصيات التي يمتاز بها المجال من ناحية التربة الصالحة للزراعة ووفرة الماء، حيث جذبت هذه المعطيات الاستيطان الزراعي للمنطقة، وعليه تم تشييد مجموعة من الضيعات الفلاحية الكبرى هناك، التي ستؤول ملكيتها إلى الدولة في إطار الأراضي المسترجعة.

ب- تأسيس الجماعة القروية جرف الملحة

في خضم التنظيم الإداري المتعلق بالجماعة المحلية المرتبطة بمرحلة سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، حدثت مستجدات على التقسيم الترابي لتلك المرحلة، حيث ستصبح حد كورت دائرة، وسيتم خلق قيادة جديدة أعطيت لجرف الملحة. في هذه المرحلة، ستأسس جماعة جرف الملحة القروية. التي هي حاليا مدينة جرف الملحة والجماعة الترابية للمرابيح. فخلال هذه المرحلة، ستدشن اللمسات الأولى على انطلاق مرحلة التعمير بجرف الملحة. ففي

(25) موسى كرزاي، السكن الريفي(الفلاحي) في علاقته بالضغط الديمغرافي بالقطاع المسقي بالغرب وعواقبه، منشورات جامعة شعيب الدكالي(الجديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2006) مداخلة منشورة على موقع منشورات الأستاذ الكرزاي). ص 6.



التحويلات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم

الذاكرة الجماعية بجرف الملحة، تذكر دور الذي قام به كل من رئيس الجماعة المحلية، وقائد قيادة جرف الملحة فحسب ما دوين عن الحاج علال والقايد المججوبي " في ذلك الزمن الذي تميزت بعض سنواته بجفاف حاد عانى منه السكان. نظرا لسنوات الجفاف ونحوه من السابغة فكان أن ابتكر القائد حلا للتشغيل والتنمية الذاتية عن طريق فتح ورش البناء في السوق ومحيطه((يقصد سوق الاثنين))، بعد تحويله من مكانه القديم باتفاق مع المجلس القروي، مما أوجد فرص شغل لسكان الجماعة سواء المحاذين لواد ورغة باستخراج الرمال والأحجار منه لصنع طوب البناء وملء الأساسات والأرضية والبناء والتكسية، أو الذين في دواوير المرتفعات بجمع الأحجار واستخراجها وبيعها للراغبين في البناء، وبذلك واجه إكراهات الجفاف التي ضربت البلاد في مطلع الثمانينيات، بحلول مبتكرة استفاد منها السكان والجماعة والدولة دون الحاجة لأي تمويل، وثبتت السكان في أرضهم التي تم استصلاح المحجر منها، بل صارت الجماعة مصدر جذب للراغبين في الاستثمار العقاري، وفي طحن الحجر وتصفية الرمل والكل يسير في سلاسة ويسر"⁽²⁶⁾.

إذن، شكلت الخطوات والتدابير التي باشرها المسؤولون عن الجماعة القروية خلال ثمانينيات القرن الماضي، الارهاصات الأولى لوضع لبنات مدينة جرف الملحة، ويذكر في هذا السياق، تغيير مكان السوق القديم، ووضعه في تصرف "تجزئة" للسكن، قصد خلق دينامية البناء في جرف الملحة. وبالفعل حدثت ظاهرة انتشار البناء اواسط الثمانينيات، وتحولت هذه الظاهرة لاحقا بفعل البناء العشوائي إلى معضلة، جعلت الفاعل الترابي إبان تلك الحقبة يفكر في حلول من شأنها أن تضبط دينامية التوسع الحضري في المنطقة، تدور حركة البناء فيها في بلاد لها صفة قانونية في ملك الدولة. وبالفعل، تم اختيار استراتيجية استثمار في الأراضي السكنية والتجارية، وذلك عبر مقارنة "حساب الخصوصية"، حيث ستقوم الجماعة القروية لجرف الملحة باقتناء الأراضي من الدولة التي تقع ضمن مركزها الترابي، لتقوم بتجزئتها وبيعها مع تسهيلات(ثمن رمزي).وعلى ضوء أشغال التهيئة والتمن التحفيزي، والتسهيلات...تم جذب مجموعة من الاسر لاقتناء بقع للسكن أو للتجارة، لعل أولها تجزئة "خضر".

(26) ادريس كرم، "جرف الملحة والقائد الججوبي والرئيس الحاج علال.. قصة سوق تحول إلى مدينة"، المرجع السابق.



4- ارتقاء الجماعة القروية جرف الملحة إلى جماعة حضرية

يعد الطور الثالث، الذي وصلت إليه جماعة جرف الملحة، هو ما عبر عنه التحديد الإداري لسنة 1992، باعتبارها مدينة، جديدة/ناشئة تنضاف إلى مدن إقليم سيدي قاسم.

أ- دينامية تجزيئات السكن

من ملامح هذه المرحلة المتعلقة بالتوسع المجالي لجرف الملحة أحداث مجموعة من التجزيئات التي ستشكل العمود الفقري للمدينة الناشئة، بعدما كانت جماعة قروية تتميز بوجود المركز المحدد (حاليا يمكن اعتباره تصميم تهيئة المركز القروي). فخلال سنة 1992م، تم أحداث مجموعة من التجزيئات، شغلت ما يقارب 8 هكتارات من تراب الجماعة الحضرية. جدير بذكر خلال هذه المرحلة، أنها طبعت بالهجرة نحو جرف الملحة. ويقدم الجدول التالي توضيحا بخصوص عدد التجزيئات المصادق على أحداثها من سنة 1992 إلى سنة 2019:

جدول رقم6: تجزيئات السوسيو اقتصادية وسنوات أحداثها بمدينة جرف الملحة

سنة المصادقة على أحداث التجزئة	عدد التجزيئات	مساحتها الاجمالية بالهكتار
1992	16	7.84
1996	8	0.94
2002	2	0.19
2007	3	0.7
2014	5	25.07
2015	4	8.55
2019	1	17.73

اعداد الباحث، المصدر: مونوغرافية جرف الملحة 2020، المصلحة التقنية ببلدية جرف الملحة



التحولات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم

ب- الهجرة أحد العوامل المباشرة في طفرة الديمغرافية والسكانية بمدينة جرف الملحة

تعد الهجرة من بين العوامل الأساسية في دينامية المجال من حيث بعده الديمغرافي، والتوسع العمراني، فظاهرة الهجرة، ساهمت في أحداث تحولات مجالية وترايية، وحسب بعض الدراسات، يؤكد أندري آدم، أن أكبر ثورة عرفها المغرب خلال القرن 20م، هي التي نجمت عن الهجرة؛ «إن الثورة الكبرى التي عرفها المغرب في القرن العشرين هي انتهاء الفصل التليد والتقليدي بين المدن والبوادي، بين الحضري والقروي. إن تنقل الناس والبضائع والأفكار قد توسع اليوم. إن المدن قد اكتسحت من طرف الهجرة القروية»⁽²⁷⁾. من الناحية العلوم الاجتماعية، هناك علاقة وطيدة بين تحول المجال وعامل الهجرة، فالمجال الحضري، هو نتاج لدينامية الهجرة، حيث سرعت من عملية التحضر ومن عملية توسع وزيادة النطاقات الحضرية، وهذا ما جعل البعض يعتبر «الهجرة واقع تاريخي»⁽²⁸⁾. في المغرب، ارتبطت ظاهرة الهجرة، بالسياقات السوسيوسياسية خلال بداية القرن 20م، خاصة المرحلة الاستعمارية التي عرف خلالها المغرب حراكا هجريا⁽²⁹⁾ من القرية إلى المدينة، ما يزال مسلسلته مستمرا لليوم؛ لقد «أدى الاستعمار الفرنسي دورا كبيرا في بناء الفروق المجالية الحضرية في المغرب (...) وابتداءً من ثلاثينيات القرن الماضي، سيعرف عدد ساكنة المدن ارتفاعا مهما بفعل الهجرة القروية»⁽³⁰⁾. بالنسبة لمدينة جرف الملحة، لا يمكن الحديث عنها نهائيا كمدينة من تخطيط سلطات الاحتلال، فتلك الحقبة التي كان متواجدا فيها الاستعمار، كان مجالا زراعيا، وعليه، فمدينة جرف الملحة هي امتداد لتحولات الترابية القروية والحضرية في حقبة الاستقلال.

(27) André Adam, Bibliographie critique de sociologie, d'ethnologie et de géographie humaine du Maroc: Travaux de langues anglaise, arabe, espagnole et française, arrêtée au 31 décembre 1965, mémoires du Centre de recherches anthropologiques, préhistoriques et ethnographiques; 20 (Alger: Centre de recherches anthropologiques, préhistoriques et ethnographiques, 1972), introduction, 21. ترجمة عبد الرحمن المالكي، في « السوسيوولوجيا الكولونيالية أمام ظاهرة الهجرة القروية في المغرب» (ص 94).

(28) إدريس مقبول، « المدينة العربية الحديثة قراءة سوسيوولوجية في أعراض مرض التمدن»، عمران، المجلد الخامس، العدد 17 (صيف 2016)، ص 61.

(29) عبد الرحمن المالكي، « السوسيوولوجيا الكولونيالية أمام ظاهرة الهجرة القروية في المغرب»، المرجع السابق، ص 92.

(30) ياسين يسيني، « شباب الأحياء الصفيحية في المغرب التمييز والوصم واستراتيجيات المقاومة: دراسة حالة "دوار الصهد" في مدينة تمارة»، عمران، المجلد التاسع، العدد 34 (خريف 2020)، ص 60.



التحولات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم

وتعد الهجرة هي العامل الأول في خلق نواة حضرية بشرق إقليم سيدي قاسم. وحين الحديث عن الهجرة التي عرفها المجال الترابي لجماعة جرف الملحة. فنحن نتحدث عن هجرة محلية إن صححت التسمية، حيث سيشهد في المجال المتاخم لجماعة جرف الملحة الذي هو امتداد قروي بحث، الهجرة من الدواوير إلى مجال جرف الملحة (المركز خلال المرحلة القروية، والمدينة خلال مرحلة البلدية). وجدير بالإشارة، تمييز بين الهجرة التي تأتي من المحيط والجوار الترابي المباشر لجرف الملحة أي الذي في شبه تماس مع جماعة جرف الملحة، والمحيط الفاصل بينه وبين جماعة جرف الملحة.

إذ تعد كل من ساكنة دواوير كل من جماعة لمراييج، عين دفالي، سيدي بوضبر، سيدي أحمد الشريف، غوازي، توغيلت، خنيشات، أولاد نوال، سيدي عزوز هي الجوار المباشر لتيار الهجرة. والجوار غير المباشر، كل من دواوير جماعة سيدي رضوان، لمجاعرة، كيسان، الورتزاغ، تافرانت، تابودة، مولاي بوشقي، بوشابل...إلخ. من هذا الامتداد القروي، اندفع تيار الهجرة، للمجال الترابي لجرف الملحة، وما يزال هذا المحيط يغذي مدينة جرف الملحة بالمهاجرين. وهذا لا يعني بأن المنطقة لا تستقطب مهاجرين من باقي المجال الترابي المغربي، بل هناك عينة مهاجرة قدمت لجرف الملحة من نواحي عديدة من ربوع التراب المغربي⁽³¹⁾. لكن التيار الهجرة الأبرز هو التيار القادم من منطقة المجاورة، والقريبة من جماعة جرف الملحة، ومنطقة الجبيلة التي لا تبعد سوى ب 50 كلم. وفي هذا السياق يقال حسب أحد التعبير المحلية "جرف الملحة نقطة التقاء ساكنة الغرب بساكنة جبالة". ومن الملاحظات الأساسية لتتبع تيار الهجرة نحو جرف الملحة، الإشارة إلى نقطة جد مهمة تتجلى في عامل الهجرة، وهي الهجرة القسرية، التي خضعت لها ساكنة بعض المناطق التي شيد عليها سد الوحدة⁽³²⁾ خلال تسعينيات القرن الماضي، فعلى منطقة الترابية لإقليم وزان وتاونات-وبالجماعات الترابية لكل من جماعة كيسان، الورتزاغ، تافرانت، تابودة،

(31) صحراوة، ريفية، شلوح...إلخ، البحث الميداني.

(32) يعد سد الوحدة من بين أكبر السدود في أفريقيا التي بناها المغرب (ارتفاع 88متر، طول 8500متر، طاقة الاستيعابية 3مليار و800مليون م³)، يقع السد ضمن المجال الترابي بإقليم وزان، وقد بدأت الأشغال ببناء سد سنة 1991، وتدشين اشتغال سنة 1997م.



التحولات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم

كلاز، مولاي بوشتي، بوشابل...إلخ، سيتم بناء أكبر سد في المغرب، وعلى ضوء هذا الحدث، سيتم تفعيل المقتضيات القانونية المتعلقة بنزع الملكية سواء أرض زراعية أو سكنية وتعويض أصحابها، وبهذا الحدث سيتدفق جزء من المهاجرين نحو المجال الترابي لجماعة جرف الملحة.

5- سؤال التنمية الترابية بجماعة جرف الملحة على ضوء نتيجة التحولات

لقد حققت جماعة جرف الملحة، مجموعة من علامات التنمية خلال السنوات الماضية، ولعل أهم مؤشر على ذلك، هو تحقق بناء مجال مديني، أصبح من بين أكثر المجالات الترابية بإقليم سيدي قاسم جذبا للسكن والاستثمار. لكن هذا المجال المشكل حديثا(نسبيا)، يعرف مجموعة من إشكالات التنمية التي منها ما يحتاج إلى الحكامة الترابية، ومنها ما يحتاج إلى رؤية جديدة تستجيب للتحولات على الصعيد المحلي والإقليمي والوطني. فمن بين المشاكل التي تحتاج إلى الحكامة الترابية، هي تلك الإشكالات المرتبطة بالخدمات الأساسية، والتي تعد بالمناسبة من أكبر المشاكل التي تتحدث عنها ساكنة المدينة، إذ هناك استياء من بعض الخدمات الأساسية والحيوية، كانقطاع الماء المتكرر باستمرار وجودته؛ وانقطاع الكهرباء؛ ونجاعة خدمة النظافة...إلخ. وفي إطار الحديث عن الخدمات الأساسية لابد من الإشارة إلى دوار كدادرة، الذي يعد أكثر الوحدات التي تنتهي للمدار الحضري الذي يحتاج إلى تدخل حقيقي، لتوفير له مجموعة من الخدمات الأساسية التي تتوفر في جميع التجزئات، كخدمة الاستفادة من النظافة، وشبكة الصرف الصحي وتعبيد الطرق...إلخ. ويمثل هذا الدوار تفاوت كبير بين توزيع الخدمات بين مركز مدينة وهامشها الذي يمثله دوار كدادرة. ومن بين إشكالات التنمية التي تحتاج إلى رؤية جديدة:

أولا: المشاكل المتعلقة بالجانب الاقتصادي لمدينة جرف الملحة، إن على مخطو التنمية بمدينة جرف الملحة أن يفكروا خارج صندوق الفلاحة والتجارة، فالمدينة في أمس الحاجة إلى جذب استثمارات لا تتأثر لا بالجفاف ولا بالجوائح التي تضرب المواسم الفلاحي، ومن شأن هذه الاستثمارات أن تجعل حركة الاقتصادية داخل المدينة تتسم باستمرارية والنمو. والمخرج الأساسي لوضع البطالة على صعيد المدينة ومحيطها هي جذب شركات ومعامل



تحد من نزيف البطالة على صعيد المدينة ومحيطها القروي، وخير شاهد على إشكالية البطالة هو خروج فئات من الشباب للاحتجاج على الفاعلون في الجماعة الترابية خلال السنة الجارية.

ثانيا: المشاكل المتعلقة بالتلوث والبيئة، فعلى المستوى البيئي، هناك مجموعة من المواقع التي تعد مركز تلوث في المدينة، فهناك نقطة جمع نفايات المدينة التي نسيبا تعد قريبة من المدينة حيث تنبعث الرائحة الكريهة من تلك نقطة وتصل لبعض التجزئات السكنية القريبة منها. وهناك من نقطة مصب "واد الحار" الذي يقوض بانبعثاته الساكنة التي تقطن بمحيطه، فهذا المحيط يشكل أولوية في تدخل الاستراتيجي.

ثالثا: وفي اطار تحديث الرؤية لمجال المدينة، لا بد من الإشارة إلى مشكل متعلق بسياسة الأمنية في المدينة، حيث هناك توجس من الحالة الأمنية التي عليها بعض المناطق السكنية في المدينة، التي وسمت محليا بسمة العنف، المرتبطة بظاهرة تعاطي المخدرات في صفوف الأطفال والشباب وما ينجم عنها من ظواهر، تعد من بين إشكالات التي تعبر عنها الساكنة، خاصة توجس من "الكرساج"، وهذا الوضع يحتاج إلى مقارنة أمنية وإلى مقارنة سوسيوترابية حقيقية تأخذ بعين الاعتبار مجموعة من التحولات في المجال.

رابعا: ومن بين أهم المتطلبات التي تحتاج إلى رؤية مستجدة في مدينة جرف الملحة، لكونها تعد من إشكالات التنمية بالمدينة، المشاكل المتعلقة بالتواصل بين الفاعل التنموي والمجتمع، وهذا ما ينعكس على المقاربة التشاركية في تدبير وتخطيط، واستشراف مستقبل المدينة بالسلب. إن التواصل بين مكونات الفاعل التنموي والمجتمع في المدينة، من شأنه أن يرفع من مردود الانخراط في تقديم حلول واستشارات تنموية، تدفع بعجلة التنمية إلى الأمام. والعكس صحيح. وإن سؤال المقاربة التشاركية سؤال يفرض نفسه على المدينة أكثر من محيطها القروي، حيث بمدينة جرف الملحة نخبة مثقفة ومتنوعة التخصصات في المجالات المعرفية، يمكن أن تقدم اقتراحات قوية في التدبير والتسيير واستشراف المستقبل. إن النخبة المثقفة شبه غائبة عن المشهد السياسي، وهي من عليها الرهان مستقبلا أن تحول ثقافة المشاركة في الانتخابات من مستوى التصويت للشخص إلى مستوى التصويت لبرنامج العمل.



التحولات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم

خاتمة

إذا كانت المدينة تجربة تاريخية واجتماعية تعاش، ويتم تقييم الحضرية فيها من الناحية السوسولوجية بالثقافة الحضرية، فهذه المدينة لازالت لم توجد بعد أو لنقل هي في طور تشكيل نواتها الحضرية بجرف الملحة. إن جرف الملحة من الناحية المرفولوجية، خاصة من حيث الشكل العمراني، فهي مجال مكتسب، ومكسب مجالي مهم، وهي في استمرارية التنظيم وفق الرؤية العمرانية للمجالات الحضرية. فقد أصبح في شرق إقليم سيدي قاسم أمام جماعة ترابية حضرية، لها قوة ناعمة للجذب للسكن والاستثمار التجاري إلى حد ما، وعليه يزيد سنة بعد أخرى جذب واستقطابا للسكان القروية المحيط به (يقول أحد السكان المقيمين في أحد الدواوير التي لا تبعد عن جرف الملحة سوى ب 8 كلم: ندمت حيث بنيت في الدوار كسحابلي هاكا أتولي جرف كشريت ابنيت فيها...)؛ إذ من المرتقب أن تعرف مدينة جرف الملحة توسعا لقاعدتها السكانية بفعل تيار الهجرة من بوادي الجماعات الترابية المتاخمة لها، وبفعل النمو الديمغرافي، ما يعني ذلك أن المدينة قد تحتل المرتبة الثانية من حيث الخصائص الديمغرافية والسكانية لتتجاوز بذلك مدينة بلقصيري.

صفوة القول، إن مدينة جرف الملحة ولدت من رحم الأحداث الترابية والتنموية بالمنطقة، وأشكاليتها الحضرية، تكمن في ثلاثة مستويات وهم: مسألة التحضر؛ فهل وجود مرفولوجية المدينة، ككثافتها السكانية ونوع عمرانها وتجهيزاتها... وغيرها يعني ذلك بوجود ثقافة حضرية كما يذهب الطرح سوسولوجية الحضرية؟ ومسألة المقاربة التشاركية في تدبير المجال، فهل فعلا يوجد في دهليز العمل التدبير للمدينة مقاربة تشاركية يتدخل فيها جل المعنيين؟ ومسألة الفقر والبطالة؛ هل فعلا هناك رؤية استشرافية للحد من ظاهرة الفقر والبطالة؟



لائحة المصادر والمراجع

- الكتب

بوسلهام الكط، من وحي التراث الغرباوي (ج3 و4)، ط1 (القنيطرة، المطبعة السريعة، 2007).

الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2 (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983).

عمار حمداش، دفاتر طالب علم الاجتماع: تقنيات البحث السوسولوجي (رقم1)، ط1 (القنيطرة، المطبعة السريعة، 2006).

- الأطاريح

أحمد الغزوي، اعداد المجال والتنمية الترابية بالوسط القروي: حالة جماعتي المرابيح وتوغيلت بإقليم سيدي قاسم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة ابن طفيل-القنيطرة 2015.

- المراجع باللغة الفرنسية

J. Lecoq, Le Rahba, fellah et colons, étude de géographie régionale, thèse d Etat, 2 tomes, Rabat 1964.

Michaux Bellaire, Le Gharb, 25 pl., p. 1-480, Archives marocaines, t. XX (1913): publication de la Mission scientifique du Maroc.

- المقالات في الموسوعات والكتب والدوريات

إدريس مقبول، « المدينة العربية الحديثة قراءة سوسولوجية في أعراض مرض التمدن»، عمران، المجلد الرابع، العدد16 (ربيع 2016).

عبد الرحمن المالكي، في « السوسولوجيا الكولونيالية أمام ظاهرة الهجرة القروية في المغرب»، عمران، المجلد الخامس، العدد17 (صيف 2016).

التحولات المجالية ورهان تحقيق التنمية: جماعة جرف الملحة بإقليم سيدي قاسم



مبارك الشيكور، "سيدي قاسم"، معلمة المغرب: المغرب الأقصى (قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية و الحضارية للمغرب الأقصى) (ج 15)، (المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 2004).

المصطفى البوعناني: "الاستقرار البشري في منطقة الغرب بين التوجهات الرسمية و المعطيات الظرفية و الطبيعية من أواخر القرن 6هـ/12م إلى أواخر القرن 13هـ/19م". مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي. عدد 5-6 /2007-2008، من ص 81 إلى ص 120.

منطقة الغرب: الإنسان و المجال"، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 3. و"منطقة الغرب: التاريخ والمجتمع"، مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي. عدد 5-6 /2007-2008. موسى كرزاي، السكن الريفي(الفلاحي) في علاقته بالضغط الديمغرافي بالقطاع المسقي بالغرب وعواقبه، منشورات جامعة شعيب الدكالي(الجديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2006) مداخلة منشورة على موقع منشورات الأستاذ الكرازي).

ياسين يسيني، « شباب الاحياء الصفيحية في المغرب التميز والوصم واستراتيجيات المقاومة: دراسة حالة "دوار الصهد" في مدينة تمارة»، عمران، المجلد التاسع، العدد34(خريف 2020).

– الإحصاءات ووثائق الجماعة الترابية

Monographie Commune Jorf el Melha 2020.

Plan d'actions communal-JORF EL MELHA 2016-2012

– المواقع الالكترونية

ادريس كرم، "جرف الملحة والقائد الحجوبي والرئيس الحاج علال.. قصة سوق تحول إلى مدينة"، في موقع هوية

بريس، على الرابط الاتي: <http://howiyapress.com>

نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014، على موقع المندوبية السامية للتخطيط: www.hcp.ma